الإحسان في ضوء السنة النبوية ـ دراسة موضوعية

أ . محمد حسن محمد قرقد ـ قسم أصول الدّين ـ كلية الدّراسات الإسلامية ـ جامعة مصراتة
mhmyaaamk@gmail.com

Charity in the Light of the Sunnah of the Prophet - an Objective Study
Mohammed Hasan Mohammed Gargad - Osol Eddin department - Faculty of Islamic Studies - Misurata University

Abstract
This study addresses the topic of "Ihsan (Excellence) in the Prophetic Sunnah", considering it one of the great stations upon which the religion is built. The research aims to clarify the concept of Ihsan from both linguistic and terminological perspectives, and to highlight its status in the Sunnah through Prophetic texts. It further explains the diverse meanings and applications of Ihsan according to the type of action it is associated with—whether worship, interaction, moral conduct, or governance.
The researcher adopted an inductive-analytical approach, by surveying authentic and sound Hadiths, extracting their meanings, and analyzing the manifestations of Ihsan mentioned therein. The study distinguishes between what is obligatory and what is recommended, offering commentary and proper documentation from original sources.
The research concludes that Ihsan is a comprehensive value that encompasses all aspects of a Muslim's life. It serves as a criterion for sincere compliance and excellence in performance, and is not confined to a particular domain, but applies contextually according to the nature and rank of the deed. The Prophetic Sunnah outlines the features of Ihsan in precise forms that govern the relationship between the individual and his Lord, himself, and others.
Keywords:
Ihsan – Prophetic Sunnah – Objectivity – Prophetic Hadith

الملخّـــــــص:

يتناول هذا البحث موضوع "الإحسان في السنة النبوية "، باعتباره من المقامات العظيمة التي بُني عليها الدين، وقد هدف البحث إلى بيان مفهوم الإحسان من جهة

اللغة والاصطلاح، ثم إبراز مكانته في السنة من خلال النصوص النبوية، وشرح تنوّع معانيه وتطبيقاته بحسب ما يقترن به من أعمال، من عبادة، أو معاملة، أو خلق، أو ولاية، وقد اعتمد الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي، باستقراء النصوص الحديثية الصحيحة والحسنة، واستخلاص دلالاتها، ثم تحليل صور الإحسان التي وردت فيها، مبينًا ما هو منها واجب وما هو مستحب، مع التعليق على الأحاديث وتوثيقها من مصادرها الأصيلة، وتوصّل البحث إلى أن الإحسان قيمة شاملة تمتد في جوانب حياة المسلم كافة، وهو معيار للامتثال وكمال الأداء، لا يختص بمجال دون آخر، بل يتنزل على العمل بحسب طبيعته ومقامه. كما بيّن أن السنة النبوية قد رسمت معالم الإحسان في صور دقيقة تشمل علاقة الإنسان بربه وبنفسه وبالناس جميعًا.

الكلمات المفتاحية: الإحسان – السنة النبوية – موضوعية - الحديث النبوي

المقدمة :

الحمد لله الذي كتب الإحسان على كل شيء، وجعل الإحسان سمة من سمات الدين، فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ**﴾ [النحل: 90]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، الداعي إلى مكارم الأخلاق، والمعلِّم الأول للإحسان قولًا وعملًا.

أما بعد:

فإن المتأمل في السنة النبوية يجد أن "الإحسان" ليس خلقًا مجردًا أو قيمة معزولة، بل هو ركن جوهري في بناء الشخصية المسلمة، وروح تُضفي على الأعمال طُهرًا، وعلى الأقوال أثرًا، وعلى العلاقات الإنسانية طراوة ورحمة. وقد جاء التعبير النبوي عن هذا الأصل بأبلغ بيان في قوله ﷺ:" **إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ،...**"(1)

ليكون مبدأ شاملًا، يدخل في كل عمل، ويعلو على كل واجب، ويتنزل على القلب والقول والفعل على السواء.

أولًا ـ أسباب اختيار الموضوع:

لقد دفعني إلى اختيار موضوع "الإحسان في ضوء السنة النبوية: دراسة موضوعية" جملة من الدوافع العلمية والواقعية، أهمها:

- شمولية مفهوم الإحسان في الشريعة الإسلامية، وحضوره في معظم أبواب الدين، مما يستدعي دراسة موضوعية تُبْرز هذا الحضور في مواضعه المتعددة.

- حاجة المجتمعات اليوم إلى تهذيب السلوك، وتزكية النفس، وتحسين التعامل بين الناس، وهي مقاصد متحققة من خلال الإحسان.
- قلة الدراسات الموضوعية المتخصصة التي تتناول الإحسان في ضوء السنة النبوية جمعًا وتحليلًا، رغم كثرة الورود النصي له في كتب الحديث.
- تنوّع تطبيقات الإحسان بين ما هو واجب وما هو مستحب، مما يثير الحاجة إلى ضبطها وتأصيلها وبيان مراتبها الشرعية.

- ثانيا ـ مشكلة وتساؤلات البحث:

- تكمن المشكلة العلمية التي يسعى هذا البحث إلى معالجتها في السؤال التالي:
- كيف تناولت السنة النبوية مفهوم الإحسان، وما تجلياته التطبيقية في مختلف مجالات السلوك والتعبد والمعاملة؟
- ويتفرّع عن هذه المشكلة عدة تساؤلات فرعية، منها:
- ما الإطار المفاهيمي للإحسان في السنة النبوية؟
- ما مكانة الإحسان في البناء السلوكي للمسلم؟
- ما الصور العملية التي جسدها النبي ﷺ للإحسان؟
- كيف تتنوّع مراتب الإحسان بين الواجب والمندوب بحسب طبيعة العمل؟

ثالثا ـ أهداف البحث :

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، منها:

- تحرير مفهوم الإحسان كما ورد في السنة النبوية من حيث اللفظ والمعنى والسياق.
- إبراز مركزية الإحسان في البناء العقدي والسلوكي للمسلم.
- جمع أبرز الأحاديث النبوية الصحيحة والحسنة التي تناولت الإحسان تصريحًا أو تضمينًا.
- تحليل الصور المتنوعة للإحسان في الهدي النبوي في العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك.
- التفريق بين مراتب الإحسان: الواجب والمستحب، وفهم ضوابط كل مرتبة.

رابعا ـ أهمية الموضوع :

تبرز أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

- أنه يُعنى بأحد المقامات الثلاثة التي يقوم عليها الدين، كما جاء في حديث جبريل المشهور: الإسلام، الإيمان، الإحسان.

- أن الإحسان يجمع بين الباطن والظاهر، فيُعنى بإصلاح القلب والسلوك، ويُهذّب الطبع ويُرَقّي المعاملة.
- أنه مدخل لفهم الروح المقاصدية للشريعة، إذ هو غاية تتقاطع مع مقاصد العدل، والرحمة، واليسر، والرأفة.
- أن الموضوع يُسهم في إحياء الأخلاق النبوية في التعامل مع الإنسان والحيوان والبيئة، ويعيد للاجتماع البشري شيئًا من سكينته ورحمة مبدئه.

خامسا ـ منهج البحث :

سار البحث على الطريقة الموضوعية في دراسة الحديث النبوي، والتي تقوم على جمع النصوص الحديثية المتعلقة بموضوع معين، ثم تحليلها وتحقيقها واستنباط دلالاتها، بعيدًا عن الحصر في رواية واحدة أو حادثة بعينها، كما استخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي في وصف الإحسان وبيان مفهومه وتحليل النصوص النبوية، والمقارنة بين المفاهيم، مع ربط ذلك بالسياق المقاصدي والتربوي العام.

سادسا ـ منهجية البحث :

اتبعت الدراسة في ترتيبها ومنهجها الداخلي الخطوات التالية:

ـ جمع أبرز الأحاديث المتعلقة بالإحسان من كتب السنة، مع تخريجها وتوثيقها، والاكتفاء بمصدر واحد من كتب السنة، مع الحكم على الحديث الذي خارج الصحيحين.

ـ تصنيف المادة الحديثية بحسب الجوانب التي تناولت فيها الإحسان: عبادة، معاملة، ولاية، قتل، إلخ.

ـ تحليل الأحاديث من حيث دلالاتها اللغوية والشرعية والسلوكية، دون الدخول في تفاصيل فقهية مذهبية.

سابعا ـ الدراسات السابقة:

لم أقف –في حدود البحث والاطلاع– على دراسات أكاديمية مستقلة تناولت موضوع "الإحسان في السنة النبوية" دراسة موضوعية تجمع بين جمع النصوص الحديثية، وتحليلها في ضوء مقاصد الشريعة.

ثامنا ـ خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم الإحسان في السنة النبوية، والمبحث الثاني: مكانة الإحسان في السنة النبوية، والمبحث الثالث: صور الإحسان في السنة النبوية، ثم الخاتمة: وتعرض أبرز النتائج والتوصيات.

ومن هذا المنطلق، جاء هذا البحث ليُسلّط الضوء على الإحسان في السنة النبوية، مبيّنًا شموله وتنوع صوره وفق منهجية علمية موضوعية، فما كان فيه من صواب وتوفيق، فبفضل الله وحده، وما كان فيه من خطإ أو تقصير، فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله من الزلل والخلل، إنه غفور رحيم.

المبحث الأول ـ مفهوم الإحسان في السنة النبوية:

تُعدّ السنة النبوية المطهّرة المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وهي الكاشفة لمجمل أحكامه، والمبيّنة لمقاصده، والمُجسّدة لقيمه العليا في واقع الحياة، ومن أبرز القيم التي تولّت السنة النبوية ترسيخها وتنميتها في النفوس: قيمة الإحسان، التي تُعدّ من أعظم الفضائل الخُلُقية، وأعلى مقامات الدين، لما تتضمنه من إخلاص لله تعالى، وإتقان للأعمال، ومعاملة للخلق بالرفق والرحمة.

ويهدف هذا المبحث إلى بيان المفهوم الدقيق للإحسان كما ورد في لغة العرب وفي السنة النبوية، وإبراز مكانته في النصوص النبوية، من خلال شواهد الحديث النبوي الشريف وأقوال شُرّاحه من أهل العلم.

أولًا ـ تعريف الإحسان لغة واصطلاحًا :

الإحسان في اللغة: الإحسان مشتق من الجذر الثلاثي (ح-س-ن)، وهو من الجذور ذات الامتداد الواسع في دلالاته واشتقاقاته، ويدور معناه في اللغة حول الجمال والإتقان والفضل [2] قال ابن فارس: " الحاء والسين والنون أصل واحد، فالحسن ضد القبح، يقال رجل حسن وامرأة حسناء وحسانة"[3] وقال الراغب الأصفهاني: " والإحسان يقال على وجهين:

أحدهما: الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان. والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علما حسنا، أو عمل عملا حسنا"[4] ، وقال القاضي عياض: "هو من الإحسان في العمل وإجادته وأن يكون العمل لله على أحسن وجوهه"[5]، وتجتمع هذه التعريفات على أن الإحسان في اللغة يشمل:

التفضل على غير دون مقابل. وإتقان العمل وإجادته. والجمال في القول والفعل [6]

الإحسان في الاصطلاح: وأما في الاصطلاح الشرعي فقد عرّفه النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور، عندما سأله جبريل: "قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: **أَنْ تَعْبُدَ اللهَ**

كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ "[7]، وهذا التعريف النبوي يُبرز أن الإحسان ليس مجرد فعل الخير، بل هو مقام رفيع من مقامات الدين، يقوم على استحضار قرب الله وعظمته أثناء العبادة، ويُثمر مراقبة دائمة، وإخلاصًا تامًّا، وإتقانًا في الأداء ، قال ابن حجر:" تقول أحسنت كذا إذا أتقنته وأحسنت إلى فلان إذا أوصلت إليه النفع"[8] وقد قسّم العلماء هذا المقام إلى درجتين [9]:

مقام المشاهدة: أن يعبد العبد ربَّه كأنه يراه بعين قلبه، فيزداد حبًا وتعظيمًا وإجلالًا.

مقام المراقبة: أن يستشعر العبد اطلاع الله عليه، فيمنعه ذلك من التقصير أو المعصية.

يقول ابن الملقن:" وهو من جوامع كلمه الذي أوتيها؛ لأنه لو قدرنا أن أحدا قام في عبادة وهو يعاين ربه -تعالى- لم يترك شيئا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن الصمت، واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن الوجوه إلا أتى به "[10].

ثانيا ـ تنوع مدلول الإحسان بحسب العمل المقترن به:

دلّ الحديث النبوي الذي رواه شداد بن أوس - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته"[11] - على شمول مبدأ الإحسان لكافة التصرفات والمجالات التي يباشرها الإنسان، تعبّداً ومعاملة، عبادة وقيادة، قتالاً وذبحاً، قولاً وفعلاً، غير أن الإحسان وإن كان أصلاً عاماً فإن تطبيقه يختلف باختلاف المواضع، ويأخذ منازل متفاوتة بين الوجوب والاستحباب، فالإحسان في أداء الواجبات الشرعية الظاهرة والباطنة إنما يكون بأدائها على أكمل وجوهها من خلال إتمام فروضها وإقامة شروطها وأركانها وواجباتها، وهذا النوع من الإحسان واجب لا يسع المسلم تركه، وأما ما زاد على ذلك من تحسين الأعمال واستيفاء المستحبّات والنوافل فإنه إحسان مستحب، لا يبلغ درجة الإلزام، ولكنه من تمام الخشية وكمال الإيمان[12]

وأما الإحسان في اجتناب المحرمات، فإنه يكون بالكفّ عنها ظاهراً وباطناً، استجابة لقوله- تعالى- : ﴿**وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ** ﴾ [الأنعام: 120] قال القرطبي: "للعلماء فيه أقوال كثيرة وحاصلها راجع إلى أن الظاهر ما كان عملا بالبدن مما نهى الله عنه، وباطنه ما عقد بالقلب من مخالفة أمر الله فيما أمر ونهى، وهذه المرتبة لا يبلغها إلا من اتقى وأحسن"[13]

فمجرد الامتناع الظاهري لا يُعدّ كافياً في ميزان الإحسان، بل لا بدّ من تنقية الباطن أيضاً من نزغات المعصية وميل الهوى، وهذا المستوى من الإحسان واجب، إذ يدخل في حدود الامتثال الجازم لأوامر الشرع ونواهيه. وفي جانب الابتلاء والتقدير الإلهي فإن الإحسان يتحقق بالصبر الجميل، وهو الصبر الخالي من السخط والجزع، لا تبرماً بالقضاء، ولا اعتراضا على القدر، بل تسليما ورضا ويقينا بوعد الله[14]

أما في معاملة الخلق ومخالطتهم فإن الإحسان الواجب هو القيام بالحقوق التي أوجبها الله تعالى في حق الوالدين، والزوجة، والجيران، وسائر أفراد المجتمع، على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم، وما زاد على ذلك من التفضل والعفو والإيثار فهو من الإحسان المستحب الذي يجود به الكرام، وهو في ميزان الله عظيم الأثر، رفيع المنزلة[15]

وفي الولايات الشرعية ومجالات القيادة والسياسة فإن الإحسان الواجب يتمثل في الوفاء بالمسؤوليات والقيام بالأمانات، وإقامة العدل بين الناس، وتحقيق المصالح ودرء المفاسد، وما زاد على ذلك من اجتهاد في الإصلاح وتطوير سبل الرعاية واستحضار نية التقرب إلى الله فهو من ضروب الإحسان الكامل الذي يحبه الله ويرضاه[16]، وأما في مجال إزهاق النفوس التي أباح الشرع قتلها سواء أكانت من بني آدم أو من الحيوانات، فإن الإحسان يتجلّى في اختيار أيسر السبل وأرحمها لإتمام ذلك بلا زيادة في الألم أو تمثيل أو تعذيب، وقد نبّه النبي ﷺ على هذا النوع من الإحسان تحديداً في هذا الحديث فقال: **" إذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدّ أحدكم شفرته فليرح ذبيحته"**[17]

وقد فسر العلماء هذا التوجيه بأن المراد به تحسين هيئة القتل والذبح بتحقيق الإزهاق السريع للنفس، وتجنب الأذى الزائد ، وأيسر وسائل القتل ما ورد به النص في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ**﴾ [محمد: 4]، وقوله: ﴿**فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ**﴾ [الأنفال: 12]، وهو الموضع الذي يكون فيه القتل أسرع وأقل إيلاماً[18]

المبحث الثاني ـ مكانة الإحســـــان في السنة النبوية:

لقد أولت السنة النبوية مقام الإحسان عناية عظيمة، فوردت في ذلك نصوص كثيرة تُبيّن فضله وعلو منزلته، وأنه من أعظم مقامات الدين، وأنه جزء من الدين ذاته، إلى جانب الإسلام والإيمان، قال ابن حجر الهيتمي: "وفيه: أن الدين هو مجموع الإسلام والإيمان والإحسان"[19] ، وقد كان النبي ﷺ خير مثال للإحسان في كل شؤونه فقد كان رفيقًا صادقًا محسنًا في القول والعمل، قال الله عنه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: 4]، وكان يحسن إلى أهله وخدمه وأصحابه وعدوّه، وكان إذا تصدق أتمّ، وإذا

حكم عدل، وإذا دعا هدى[20]، ومن أبرز النصوص التي تُبرز مكانة الإحسان في السنة:

ـ حديث جبريل المشهور، الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سأل جبريل النبي ﷺ عن الإحسان فقال: **"أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"**[21]، ويُعد هذا الحديث أصلًا في باب الإحسان، إذ بيّن أنه أعلى مراتب الدين بعد الإسلام والإيمان، وهو مقام المراقبة الذي يحيا فيه المؤمن مع الله قلبًا وسلوكًا[22]

ـ حديث شداد بن أوس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: **"إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة..."**[23] فهذا الحديث يبيّن عموم الإحسان، وأنه شامل لكل تصرف، حتى ما يُظن فيه القسوة كالقتل والذبح[24]

ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: **"إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"**[25]، والإحسان متعلّق بالقلب والعمل معًا، وهذا الحديث يشير إلى أن المعيار عند الله هو الإخلاص والإتقان[26]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه "**[27]، وهذا الحديث يدل على أن من الإحسان إلى الخلق كفّ الأذى عنهم، وهو من أوضح صور الإحسان العملي[28]. قال النووي: "قوله صلى الله عليه وسلم ((**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)) هذا من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به "[29]، وقال ابن القيم: "وجعل النبي صلى الله عليه وسلم إحسان العبودية أعلى مراتب الدين وهو الإحسان فقال في حديث جبريل وقد سأله عن الإحسان: ((أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))"[30]، وعلق ابن القيم على قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف: 56] بقوله: "وإنما اختص أهل الإحسان بقرب الرحمة منهم؛ لأنها إحسان من الله أرحم الراحمين، وإحسانه ـ تعالى ـ إنما يكون لأهل الإحسان؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فكما أحسنوا بأعمالهم أحسن إليهم برحمته، وأما من لم يكن من أهل الإحسان فإنه لما بعد عن الإحسان بعدت عنه الرحمة بعدا ببعد وقربا بقرب، فمن تقرب بالإحسان تقرب الله إليه برحمته، ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته، والله

سبحانه يحب المحسنين ويبغض من ليس من المحسنين، ومن أحبه الله فرحمتـه أقرب شيء منه ومن أبغضه فرحمته أبعد شيء منه"[31] وقال ابن حجر: "قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: اسم التقوى يعم جميع المؤمنين لكن الناس فيه على درجات قال الله – تعالى- : ﴿**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا**﴾ [المائدة:93]، فكل من دخل في الإسلام فقد اتقى أي وقى نفسه من الخلود في النار وهذا مقام العموم وأما مقام الخصوص فهو مقام الإحسان"[32]

يتبيّن من خلال ما سبق أن الإحسان ليس مجرد خلق محمود، بل هو ركن أصيل في بناء التصوّر الإسلامي للدين، يتجلى في العلاقة مع الله تعالى بالإخلاص والمراقبة، وفي العلاقة مع الناس بالإتقان والرحمة. وهو غاية السالكين ومراد المخلصين، وعليه تتنزل محبة الله ورضاه، وهو معيار التفاضل بين العباد في ميزان الحق، كما قال تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس: 26].

المبحث الثالث ـ صور الإحسان في السنة النبوية:

يتّضح من هدي النبي ﷺ أن الإحسان ليس مجرد قيمة جمالية تُضاف إلى العمل لتُحسّن صورته، بل هو في ذاته مكوّن جوهري من مكوّنات التشريع، يُطلب من المسلم أن يُجسّده في عباداته ومعاملاته، في لينه وشدّته، في عزلته ومجتمعه، بل حتى في مواقف القوّة كقتل العدو أو ذبح الحيوان، وهذا التنوع في صور الإحسان يدل على عمق حضوره في المنظومة الإسلامية، واتساع مجالات تطبيقه، وارتباطه بكل حركة وسكون في حياة المسلم. وقد أرسى النبي ﷺ هذا المعنى العام في حديث جامعٍ جاء على سبيل القاعدة الكبرى، حيث قال: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته"[33]

فهذا الحديث أصلٌ في بيان شمول الإحسان لكل فعل يصدر عن الإنسان حتى ما ظُنّ أنه لا يُطلب فيه غير الضرورة كإزهاق النفس، فقد جاء الأمر فيه بالإحسان، وهذا يدل دلالة قوية على أن الإحسان ليس فضلًا زائدًا بل قد يكون هو الحدّ الشرعي المطلوب بحسب المقام.

وفيما يلي عرض تفصيلي لأبرز صور الإحسان في السنة النبوية بحسب ما ورد فيها من نصوص، مع بيان دلالات تلك النصوص:

أولًا ـ الإحسان في عبادة الله تعالى - : هذه هي الصورة الأعظم والأرقى وقد بيّنها النبي ﷺ بجلاء في حديث جبريل المشهور، إذ سأل جبريلُ النبيَّ ﷺ عن الإحسان، فقال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[34]، وهذا التعريف النبوي

يضع الإحسان في مرتبة المراقبة الدائمة لله عز وجل، ويجعل العبد يتعامل مع العبادة بروح الحضور والخشوع، لا مجرد أدائها الشكلي، فالإحسان هنا هو الإخلاص في النية، والتقيد بهدي النبي ﷺ، والتجرد من الغفلة، واستحضار عظمة من يُعبد، وهو في أصل العبادة واجب، وفي تحسينها وتمامها مستحب[35]

ثانيًا ـ الإحسان في ترك المحرمات : ليس المطلوب من المسلم أن يبتعد عن ظاهر المعصية فقط، بل أن يُطهر قلبه منها، امتثالًا لأمر الله عز وجل: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: 120]، فهذا الأمر يدل على أن الإحسان في هذا الموطن يكون في اجتناب المحرمات من جذورها ومن دوافعها وأسبابها القلبية لا في صورها فقط[36]

وتطبيق هذا المعنى في السنة يظهر في قول النبي ﷺ:" **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن...**"[37]

فالحديث يدل على أن الوقوع في المعصية ينقض كمال الإيمان، ومن هنا فإن الإحسان يكون في تجنّبها ظاهرًا وباطنًا، وهذا واجب لا يُتصور فيه التراخي[38]

ثالثًا ـ الإحسان في الصبر على أقدار الله : الصبر من شعب الإيمان، ولكن الإحسان فيه يرتقي بالمؤمن إلى التسليم والرضا وترك السخط والضجر، قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[النحل:127]، وقال: ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** ﴾ [يوسف: 18]، وهذا النوع من الصبر حث عليه النبي ﷺ في مواقف عظيمة منها ما رواه أنس رضي الله عنه: مرّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: "اتقي الله واصبري" قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي صلى الله عليه وسلم، فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم، فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى"[39]

ففي الحديث توجيه نبوي لأن يكون الصبر مقترنًا بالتقوى لا جزعًا ولا اعتراضًا، والإحسان فيه يكون بتحقيق التوكل والطمأنينة والتسليم الكامل لحكمة الله [40]

رابعًا ـ الإحسان إلـــى الوالدين: الإحسان إلى الوالدين قُرن بعبادة الله في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [الإسراء: 23]، وقد بين النبي ﷺ أنه أحب الأعمال إلى الله بعد الصلاة على وقتها، عندما سئل: أي العمل أحب إلى الله؟ فقال: "الصلاة على وقتها"، قيل: ثم أي؟ قال: "ثم بر الوالدين"[41] وتجلّى ذلك في قوله ﷺ لرجلٍ سأل عن الأحق بحسن الصحبة، فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟

قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك»[42] والإحسان هنا يشمل الطاعة، وخفض الجناح، والقيام بالخدمة، والرفق في القول والفعل[43]

خامسًا ـ الإحسان في معاملة الأقارب والجيران : الإحسان في هذا الباب هو صميم الأخلاق الاجتماعية، وسِرّ التماسك الأسري والمجتمعي، وقد عنيت السنة النبوية بهذا النوع من الإحسان، حثًّا وترغيبًا، وربطت بينه وبين الإيمان بالله واليوم الآخر، في قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره..."[44] ، ويُلاحظ في هذا الحديث أن النبي ﷺ لم يقتصر على النهي عن أذية الجار، بل تعدّاه إلى الأمر بالإكرام، مما يدل على أن الإحسان إليه لا يكون بالكفّ فقط، بل بالبذل والإكرام والمواساة وحُسن المعاشرة وتحمّل الأذى، وهذا من كمال الإيمان[45].

سادسًا: الإحسان إلى اليتامى والمساكين : من أبرز صور الرحمة العملية، وأدلّها على نقاء القلب، الإحسان إلى من قُطع عن العائل والمُعين، وقد قال النبي ﷺ: "**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا"، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى**[46] ، وهذا الحديث يدل على قرب منزلة من يُحسن إلى اليتيم من منزلة النبي ﷺ نفسه في الجنة، وهو مقام لا يُنال إلا بعظيم عمل، والكفالة لا تقتصر على النفقة، بل تشمل الحنو، والرعاية، والتعليم، والتربية، وهذا هو عين الإحسان[47] ، وكذلك في قوله ﷺ: "**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**"[48]، فالرحمة صورة من صور الإحسان، وهي تُثمرُ بركات دنيوية وأخروية. وهو ظاهرة في القرآن في قوله – تعالى- : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ**﴾ **[النساء**:36].

سابعًا ـ الإحسان في القول والعمل : الإحسان هنا يبرز في اللطافة وحُسن المنطق وصدق اللسان ورفق الطبع، وقد قال النبي ﷺ: "**والكلمة الطيبة صدقة**"[49]، فهذا الحديث يرفع من قيمة الكلمة، ويجعلها صورة من صور العطاء، يدل على أن الإحسان في القول – بالكلام الطيب والعبارة الحسنة – له أثر تربوي ونفسي واجتماعي عميق [50] وقال ﷺ كذلك: "**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**"[51]. وفي ذلك إشارة إلى أن الإحسان لا يتحقق بالقول فقط، بل بكيفية إلقائه، وبالرفق المصاحب له[52]

ثامنًا ـ الإحسان في العمل الدنيوي والمهني: ليست العبادات فقط هي مجال الإحسان، بل حتى الأعمال الدنيوية والمهارات الحياتية تدخل ضمن دائرة التكليف، ويُطلب فيها الإتقان والإخلاص، كما في قول النبي ﷺ: "**إن الله تبارك وتعالى يحب إذا عمل أحدكم**

عملا أن يتقنه"[53] ، والإتقان هنا لا يقتصر على التقنية والجودة، بل يشمل حسن النية، وتنظيم الوقت، واستيفاء الحقوق، وأداء الأمانة، وهذا يدل على أن الإحسان في المجال العملي مطلوب في كل مهنة ومجال. [54]

تاسعًا- الإحسان في الولايات والمسؤوليات: حين يولي الإنسان أمرًا من أمور الناس فإنه يدخل في أمانة عظيمة، يُطلب منه فيها أن يَعدل ويَنصح ويَسهر على مصالحهم، كما قال ﷺ: **"كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته..."** [55] والراعي في هذا الحديث شامل للحاكم، والزوج، والمعلّم، وربّ العمل، وغيرهم، والإحسان في ولايتهم يتمثّل في أداء الأمانة، والرأفة بالمرؤوسين، والحرص على إصلاح أحوالهم، والعدل بينهم[56] ، وكل هذا داخل في قول النبي ﷺ: **" اللهم، من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم، فارفق به "**[57]

عاشرًا ـ الإحسان في القتل والذبـــح: وهي من أعجب صور الإحسان؛ إذ كيف يُطلب الإحسان في إزهاق الروح؟ لكن الإسلام بدقّته في الأخلاق، وتغلغله في النفس، يجعل حتى أشدّ صور الفعل – كقتل العدو أو ذبح الحيوان – مقيّدة بالرحمة والإحسان، كما في الحديث: **" إذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته"**[58]

وفي هذا تعليم نبوي رفيع، يتجاوز الفعل إلى هيئة الفعل، فيأمر بالإسراع، وبتخفيف الألم، وبالابتعاد عن التعذيب أو التشفي. وهنا تتجلى إنسانية الشريعة، في أعنف المواقف.

يتّضح من هذا العرض التفصيلي أن الإحسان في السنة النبوية مبدأٌ شامل، لا يختص بعبادة أو نوع من المعاملة، بل يشمل علاقة العبد بربه، وبنفسه، وبالخلق، وبالحيوان، وبالكون من حوله، وهو يتلون بلون العمل المقترن به، فيأخذ صورة الإتقان حينًا، والرحمة حينًا، والصبر حينًا، والتجويد حينًا، وهذا التنوع في الصور يؤكد أن الإحسان من جوهر الدين، وهو سبيلُ الفضل، ومدخلُ الرقي.

الخاتمة :

في ختام هذا البحث، يمكن تلخيص أبرز ما توصّل إليه الباحث في النقاط الآتية:

1- الإحسان مقامٌ عالٍ من مقامات الدين، وقد جمعه النبي ﷺ مع الإسلام والإيمان في حديث جبريل، مما يدل على مكانته الرفيعة وأثره العميق في بناء الشخصية المسلمة.

2- مفهوم الإحسان في السنة النبوية يتّسم بالشمول، إذ لا يقتصر على جانب العبادات فحسب، بل يشمل أيضًا المعاملات، والأخلاق، والتعامل مع الخلق، بل ومع الجماد والحيوان.

2- مدلول الإحسان يتنوع بحسب طبيعة العمل المقترن به، فالإحسان في العبادة يختلف عن الإحسان في المعاملة أو في القول أو في السياسة الشرعية.

3- الإحسان منه ما هو واجب، ومنه ما هو مستحب، فإحسان الواجبات لا يُكتفى فيه بمجرد الأداء، بل لا بد من تحقيق شروطه وأركانه على وجه الكمال، وإلا لم يصحّ، بينما يُطلب الكمال في المستحبات على جهة الفضل.

4- السنة النبوية مليئة بصور تطبيقية متنوعة للإحسان، وقد جمع البحث أبرزها، مثل: الإحسان في عبادة الله، والإحسان إلى الوالدين، والجيران، واليتيم، والإحسان في الذبح، وفي القول والعمل، وغيرها.

5- الإحسان يُعدّ مبدأً منهجيًا عامًا يحكم تصرفات المسلم في كل حال، سواء في علاقته بالله، أو بالناس، أو حتى بما لا يعقل، كما دلّت النصوص، وهو عنوان الالتزام والتقوى والإنسانية الرفيعة.

6- يتّضح من البحث أن الإحسان أصلٌ أخلاقي تربوي، لا تستقيم الحياة الفردية والاجتماعية بدونه، وأن تطبيقه في ضوء السنة يُحقق التوازن بين الظاهر والباطن، وبين الحقوق والواجبات.

7- البحث يُبرز الحاجة العملية لتجديد الوعي بمعاني الإحسان في واقعنا المعاصر، ليكون منهاجًا تربويًا وأخلاقيًا شاملًا، يتبنّاه المسلم في حياته اليومية، في العبادة والمعاملة.

التوصيات:

1- تعزيز قيمة الإحسان في المناهج التربوية والبرامج الدعوية.

2- دعوة الخطباء والمعلمين إلى بيان معاني الإحسان وصوره العملية من السنة.

3- إجراء دراسات متخصصة في صور الإحسان في ميادين الحياة المختلفة.

4- تفعيل مفهوم الإحسان في بيئات العمل والإدارة بما يحقق الأمانة والإتقان.

الهوامـــــــــــــش:

(1)أخرجـه مسلم فـي صـحيحه، كتـاب الصـيد والـذبائح..، بـاب الأمـر بإحسـان الـذبح والقتـل..، 1548/3، برقم: 1955.

(2)ينظر لسان العرب، ابن منظور، دار صـادر - بيـروت، الطبعـة الثالثـة، 1414هـ.: 114/13-117، والقاموس المحيط، مجد الـدين أبـو طـاهر الفيروزآبـادى، مكتـب تحقيـق التـراث فـي مؤسسـة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسـالة للطباعـة والنشـر والتوزيـع، بيـروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.: ص 1189.

(3) معجـم مقـاييس اللغـة، ابـن فـارس، تحقيـق عبـد السـلام محمـد هـارون، دار الفكـر، 1399هـ/1979م. : 57/2.

(4) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصـفهانى، صـفوان عـدنان الـداودي، دار القلـم، الـدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ.: ص 236.

(5) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف: عياض بن موسى اليحصبي، المكتبة العتيقة ودار التراث. 212/1.

(6) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمـد مختـار عبـد الحميـد عمـر، بمسـاعدة فريـق عمـل، عـالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.: 197/1.

(7)أخرجه مسلم فـي صـحيحه، كتـاب الإيمـان، بـاب معرفـة الإيمـان، والإسـلام، والقـدر وعلامـة الساعة، 36/1، برقم: 8.

(8)فتح الباري: 120/1.

(9)ينظر فتح الباري لابن رجب: 211/1، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، 1323 هـ.: 140/1.

(10) المعين على تفهم الأربعين، ابن الملقن سراج الدين أبـو حفـص، دراسـة وتحقيـق: دغـش بـن شبيب العجمي، مكتبة أهل الأثر للنشـر والتوزيـع، حـولي – الكويـت، الطبعـة: الأولـى، 1433 هـ - 2012 م.: ص 122.

(11)أخرجه مسلم فـي صـحيحه، كتـاب الصـيد والـذبائح..، بـاب الأمـر بإحسـان الـذبح والقتـل..، 1548/3، برقم: 1955.

(12)ينظر الفتح المبين بشرح الأربعين، أحمد بن حجر الهيتمي، عني به: أحمد المحمـد وآخـرون، دار المنهـاج، جـدة - المملكـة العربيـة السـعودية، الطبعـة: الأولـى، 1428هـ - 2008م. : ص 340،341.

(13) الجامع لأحكام القرآن، أبـو عبـد الله محمـد بـن القرطبـي، تحقيـق: أحمـد البردونـي وإبـراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م: 74/7.

(14)ينظر جامع العلوم والحكم، ابن رجـب الحنبلـي، تحقيـق شـعيب الأرنـاؤوط وإبـراهيم بـاجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة السابعة، 1422هـ/2001م.: 382/1.

(15)ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ص177.

(16)ينظر جامع العلوم والحكم: 382/1.

(17)سبق تخريجه ص9 .

(18)ينظر جامع العلوم والحكم: 382/1.

(19)الفتح المبين بشرح الأربعين: ص186.

(20)شرح النووي على مسلم: 157/1.

(21)سبق تخريجه ص 9.

(22)ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن بن رجب الحنبلي، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م.: 211/1.
(23)سبق تخريجه هامش ص 9.
(24)ينظر جامع العلوم والحكم: 381/1.
(25) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله..، 1987/4، برقم: 2564.
(25)ينظر جامع العلوم والحكم: 276/2.
(27)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، 11/1، برقم 10.
(28)ينظر جامع العلوم والحكم: 289/1.
(29)شرح النووي على مسلم: 157/1..
(30) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، شمس الدين ابن قيم الجوزية، محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م.: 124/1.
(31) بدائع الفوائد، شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.: 18/3.
(32)ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن بن رجب الحنبلي، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م : 271/10.
(33)سبق تخريجه ص 9.
(34)سبق تخريجه ص 9.
(35)ينظر الفتح المبين بشرح الأربعين: ص 340،341.
(36)ينظر الجامع لأحكام القرآن: 74/7.
(37)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئًا من الأرض، 164/8، برقم: 6810.
(38)ينظر شرح النووي على مسلم، 146/1 .
(39)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، 79/2، برقم: 1283.
(40)ينظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: 79/2.
(41)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، 112/1، برقم: 527.
(42)أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، 1974/4، برقم: 2548.
(43)ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000م.: ص 648.
(44) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، 68/1، برقم: 47.
(45)ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م.: 2731/7.

(46) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ ، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيمًا، 9/8، برقم:6005.

(47)ينظر العل الجامع لأحكام القرآن : 14/2.

(48) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1998م. كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الناس، 388/3، برقم: 1924 وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

(49)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه، 56/4، برقم:2989.

(50) ينظر الفتح المبين في شرح الأربعين: ص 450.

(51)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصرح، 16/9، برقم:6927.

(52) ينظر شرح النووي على مسلم: 14/16، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: 3170/8.

(53) شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر، الرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م. : 232/7، برقم: 4929، وقال المناوي: "وفيه بشر بن السري تكلم فيه من قبل تجهمه وكان ينبغي للمصنف الإكثار من مخرجيه إذ منهم أبو يعلى وابن عساكر وغيرهما". ينظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، 1356.: 286/2.

(54) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه، 56/4، برقم:2989.

(55)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، 5/2، برقم:893.

(56)ينظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 1576/4.

(57)أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، 1458/3، برقم 1828.

(58)سبق تخريجه ص9 .